للقراءة او الشغل لان لا سطوع له ولا ثبات. فينبغي لمن اراد ان يستضيء بهذا النور ان يستخرج ما في الحطب من الغاز فيقطّره ويصفّيه ثم يجمعهُ في قنديل ويوقده. وهو امرٌ لا يمكن اجراؤهُ الّا في بعض البلاد الغنيّة بالغابات والحطب

هذا وان الدهون والشحوم والصموغ تصلح ايضاً للتنوير الّا انها لقلّة نورها وكثرة دخانها لم تعد تستعمل اللهمّ الّا في بعض الاحوال لعدم وجود غيرها

ولكي لا نتجاوز الحدود في المقال فاننا سنبحث عن شمع الشحم ثم عن الزيت والبترول ثم الغاز بغلافٍ متأجّج او دونهُ ثم الأسيتيلين ونختم بالكهرباء. وسنذكر اختلاف اسعار ما سبق ذكرهُ بياناً للاقتصاد في التنوير البيتي والتنوير العمومي وسنبيّن بنوع خاصّ ما يحصل من هذه الانوار من المضارّ للبصر. وفي الاجمال انّ التنوير الصناعيّ مخلٌّ فيؤثّر في البصر والرأس وينتج عنهُ عدّة امراض. وقد استلفت الدكتور شاكر الخوري في كتابهِ المفيد عن صحّة العين نظر الجمهور الى هذا الامر المهمّ ويحسن بنا ان نختم كلامنا بقولهِ :

«ان العين خلقت هكذا لاجل استقبال الضوء واذا لم تدرك الضوء فلا تنفع بها فاستنتج من ذلك ان حياتها الادبية هي الضوء فدائماً تفتش عليهِ وتعمل مجهودات كلّية لاجل ادراكه فترى الحدقة التي خلقت لاجل تنظيم الضوء تغير اشكالها بالضيق والسعة حسب مقدار الضوء فانها تنقبض في الضوء وتتسع في الظلام ... وعلى قدر منفعة الضوء يكون ضرره اذا كثر او قلّ لان الكثير والقليل يسبّب الضرر نفسه فاذا كانت العين سليمة فكثرة الضوء او قلّته تضرّها واذا كانت مريضة فان ادنى شيء منهُ يضرّها جدًّا فيلزم منعها عنهُ بالكلية لانهُ منبهها الطبيعيّ فتتنبّه منهُ اكثر من غيرهِ »

(ستأتي البقية)

خريدة لبنان

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

(تابع لما قبل)

فلم ينتبه الغريب بادىء بدء الى احتفاء اهل البيت بهِ لانهُ وجّه كلّ افكارهِ وكل عواطفهِ نحو التي قد طار اليها فؤاده. وقد سرحت انظاره في زوايا المكان علهُ ان يصادف

من الموجودات ما يخبره عن انيسة . وفيما هو على تلك الحال ذاهلًا اشعر بيدٍ ناعمة اخذت بيده فاذا به يرى الصبيّ الذي شاهده يلعب مع البنات . وكان هذا الصغير تخلّف عن امّه واخواته ولحق بالغريب كأنّ قوّةً تدفعهُ نحوه فوقف بين يديهِ يحدّق بعينين زرقاوين تلمعان انعطافًا ويزفّ عن ثغرٍ كالدرّ ابتساماتٍ تسبي الالباب

فنادتهُ امّهُ قائلة : تعال يا بطرس ... ما هذه الجسارة يا بُنيّ

وكأنّ الصغير لم يسمع نداء والدته فبقي يداعب الرجل . وقد أُعجب هذا به وحنّت اليهِ جوارحهُ وهو لا يقف على سرّ تبادُل الانعطاف بينهما فقال للولد بصوت الحنوّ : حُيّيت من مَلَكٍ صبوح الوجه وضّاح الجبين فقد خرقت نظراتك فؤادي وانت بكل تحفةٍ جدير يا وجه الخير

واخرج من جيبهِ كيسًا صغيرًا لهُ حلقات فضيّة يتخلّلها بعض اللآلئ فدسّ فيهِ شيئًا من النقود وقدّمهُ للصبيّ فطار هذا فرحًا بالهديّة لكنهُ ما برح قابضًا على يد الغريب يتأمّلهُ كأنّما قرّت بهِ عينهُ

فتقدّمت الامّ وقالت لهُ بصوت التوبيخ : بطرس لا تكن قليل الادب . اشكر فضل الخواجه وقبّل يده . فقبّل الصغير يد المحسن اليهِ وهتف بارق النعمات . كثّر الله خيرك يا سيّد حنا الطويل ...

فما اعظم ما كان انذهال المسافر وتأثره عند ما سمع هذا الصغير يتلفّظ باسمهِ . فاغرورقت عيناه بالدموع واخذهُ بين يديه وحدّق اليهِ وسألهُ قائلًا : ايها الملاك الكريم كيف علمت من انا ولم ترَني البتّة فمن انبأك عن اسمي ؟

فاجاب الغلام متبسّمًا : انيسة الضريرة

قال الرجل : وكيف عرفتني انني انا هو ولا غيري ؟

— عرفتك يا سيّدي على الفور . فاني لمّا كنت اذهب مع انيسة لندور على الابواب ما كانت تنقطع عن ذكرك . وقد سمعتها مرارًا تقول انك طويل وعيونك سود لامعة . وانك ستعود حاملًا الينا التحف والهدايا ... ولذا لمّا رأيتك ما خفت منك لان انيسة اوصتني بان احبّك ووعدتني انك تعطيني عند رجوعك حصانًا ...

وكان المسافر يصغي الى كلمات الصبي بمنتهى اللذّة فضمّهُ الى صدره شديدًا والتفت الى الحانك وامرأتهِ فصاح قائلًا : ايها الوالدان انني آخذ على نفسي العناية بشان ولدكما

فأجعلهُ في المدرسة ليتعلم ويثقف فلا ينقصهُ شيء . فهو اوّل من عرفني واحبني ولذا فاني اسعى في ان تكون معرفته لي علّة تعيسهِ على الارض

ولا حاجة الى وصف دهشة ذينك الوالدَين وفرحهما . فقال الاب متلجلجاً : قد غمرتنا بفضلك يا سيدي . . . ولكن نحن كنا عرفناك . وقد ظننّا ان العيان يخدعنا لان انيسة لم تخبرنا انك رجل غني خطير

فصاح المسافر : وانما ايضاً تعرفانني يا وجوه الخير فسقياً لكما : يا لله اني ارائي بين خلّاني عند اهلي في وطنٍ لم اجد فيهِ بادئ بدء الّا الموت والنسيان

فاشارت المرأة الى صورة العذراء في مشكاة وقالت : هنا كنّا نوقد قنديلاً كل يوم سبت لاجل رجوع حنّا غنطوس . . . او لراحة نفسهِ

فرفع المسافر طرفهُ الى السماء كأنما زال عنهُ حملٌ فادح فصاح : تعالت احكامك يا كريم فانهُ بفضلك غلب الحبُّ البغضاء . لئن يكن الخفّار اكمن للحقد في اعماق فؤاده فانيسة عاشت بذكري واضرمت كلّ ما حواليها بنار الحبّ فجعلتني حاضرًا مع طول غيبتي وبُعد سفرتي وطبعت القلوب على مودّتي . اشكرك اللهمّ على عظيم نعمتك

وعقب هذا الكلامَ سكوتٌ طويل . فكان المسافر يحاول ان يتجلّد لما عراه من شديد التأثّر وصاحبا البيت مطرقان تهيُّبًا واجلالًا . وقد تظاهر الخانك انهُ عاد الى نوله ولكنه ما برح يسارق النظر الى ضيفهِ ليبادر الى خدمتهِ ان بدا منهُ اشارة .

٦

امّا هذا فدخّن بالنارجيلة تباعًا وهو لا يرشُدُ ثمّ عاد فاخذ بيدي الصبيّ وقال بصوتٍ مستكين : هل مضى على انيسة زمن وهي مقيمة عندكم ؟

فجاءت المرأة بمنزلها ودنت من المسافر كأنها تتهيّأ لحديث فجلست واجابت

اني اخبرك يا سيدي كيف انتقلت الينا انيسة . يجب ان تعلم انهُ بعد موت حسّون الشيخ وامرأتهِ تقاسم اولادهما التركة . ولم تكن انيسة ترضى بان تتزوّج ولا يخفى عليك سبب امتناعها . فتخلّت عن حصّتها لاخيها على شرط انها تقضي عمرها في بيته ثمّ اخذت تشتغل بالخياطة وكانت تجمع كميّات من الدراهم وافرة توزعها كلها على سبيل الاحسان

وكانت تعود المرضى وتستدعي لهم الطبيب على نفقتها ان كانوا من اهل الفاقة . وكان كلامها العذب يعزّي الحزين ويدها البيضاء تنعش قلب البائس . فيوماً من الايام —

ولم يكُ قد مضى على زواجنا الّا ستة اشهر — عاد زوجي الى البيت يشكو مرضاً عضالاً سبّب لهُ من ذاك الحين هذا السعال الذي تسمعهُ . ولولا رحمة الله وشهامة انيسة لكان زوجي يوسف في عدد الاموات . آه ياسيدي لو كنت تعلم ما بذلت انيسة في سبيلنا مجرّدًا لوجه الله . فانها جاءتنا بأغطية صوف وكان وقتئذٍ فصل الشتاء ونحن فقراء . واستدعت طبيباً من سوق الغرب ليفحص مرض زوجي واخذت تسهر عليهِ هي بعينها فتخفّف آلامهُ وتؤنسني بكلامها الرقيق . فما احنّ قلبها واشرف نفسها . فكنت تراها لا تهتمّ بشأنها بل توجّه اعمالها لخدمة الغير كأنها ما دخلت الدنيا الّا لاجل القريب وما انسَ ما كانت حالتنا لولا هذا الملاك . فهي دفعت عنا ثمن الادوية وكانت تمدّنا بالدراهم

وكانت محبوبة من الجميع وحينما كانت تدخل بيوت الاغنياء تطلب منهم المساعدة لفقرائها لم يكن احد يطاوعه قلبه ان يمنع عنها العطاء . وبقي يوسف مريضاً مدّة شهر ونصف وانيسة تساعدنا حتى تمكّن زوجي من معاودة اشغالهِ

فقال المسافر متنهّدًا : لاشكّ انّ حبّكما عظيم للضريرة

فرفع الحائك رأسهُ وكانت الدموع تتلألأ في عينيه فصاح بلهجة التأثر الشديد : لو كان دمي يُعيد اليها بصرها لتركتهُ يسيل حتى آخر قطرة

فاخذ هذا الكلام من حنا غطوس كل مأخذ وفعل فيهِ ما لا يوصف وقد فطنت المرأة الى حالته فارمأت الى رجلها ان يلزم السكوت وعادت الى سياق حديثها فقالت :

وبعد ثلاثة اشهر رزقنا الله صبيًا . وهو الذي بين يديك . ويوم عمادهِ توسّلت الينا انيسة بان تسمّيهُ حنّا . لكن سلفي طلب ان ندعوه بطرس باسمه وسلفي رجل طيّب القلب لكنه عنيد . فبعد الاخذ والردّ تقرّر ان نسمي ولدنا حنا بطرس . فنحن نناديهِ باسم بطرس اكرامًا لسلفي امّا انيسة فلا تدعوه الّا حنا . وهو مثل الحمل حفظتهُ السيدة . وقد تعوّد على الاسمين . ويعلم انهُ يدعى حنا باسمك انت يا سيدي . . .

فضمّ المسافر الصبي على صدره وقبّلهُ مرارًا ثم اخذ يتأملهُ ولم ينطق ببنت شفة وكان فؤاده يطفح سرورًا . فنسي حينئذٍ الخمس والعشرين سنة التي قضاها في الغربة لا يرى صديقًا ولا نسيبًا ولا انيسًا . نسي ما قاساه من الاتعاب وما تجشّمهُ من الاخطار . فكفاهُ حظًّا انهُ عاد ما بين قوم يعرفونهُ وينظرون اليه نظر الوداد ولسعادة حظهِ قد وجد ان انيسة لم تزل حيّة . فكان لقلبهِ هذا الفكر اشبه بوابل المطر على الرمال المحرقة يردّهُ في جنانهِ :

انيسة لم تزل حيّة قريبة منهُ وعما قليل يراها ويضمها بين ذراعَيهِ . . . فضمَّ الصبي وقبَّله ثانيةً لا يعي . والصغير ينظر اليهِ جذلًا مسرورًا

٧

وكانت الام تتأمل في هذا المشهد وقد عرا قلبها امتزاز طرب لا يوصف . ثم عادت الى حديثها فقالت : وكان اخو انيسة اتَّفق مع احد تجار بيروت على مشترى فيالج (شرانق) هذه النواحي كلها . وكان الناس يزعمون ان هذا الشراء يُغنيهِ كثيرًا . وفي واقع الامر ربح في البداءة ارباحًا طائلة . ولكن لم تمضِ عليهِ ايام الَّا افلس التاجر وكان اخو انيسة قد كفل كل الغرماء فدفع لهم جميع امواله وباع ما عنده ولم يفِ بذلك نصف ديونهِ . وما لبث ان مات من الغم والقهر . الله يرحمهُ . . . وحينئذٍ عرض فارس عبُّود على انيسة ان تسكن معه في بيت ابيهِ . . . فقطع المسافر كلامها وسأل باغتًا : وما فعلت انيسة ؟

— لم تتردَّد عن الجواب بالرفض . وقد عرفنا فيما بعد سبب رفضها ولمَّا كانت رقيقة القلب تلاطف الجميع كان فارس عبود يسعى في مكالمتها فكانت تجيبه بحشمة وادب وتمرّ في طريقها ومع انها فقيرة خطبها كثيرون من الشبَّان من احسن عيال الضيعة . ولكنها ابت ان تجيب هذا الطلب . ولم يكن التخلص من مثل هؤلاء الطالبين بامر السهل . وبعضهم ظنوا ان رفضها ناتج عن احتقار لهم فسعوا في اضطهاد هذه البنت التقية وحاولوا ايضًا ان يلقوا عليها التهم الشنيعة . ولكن خابت مساعيهم اذ لم يكن في الضيعة من يصدق تلك الاشاعات القبيحة في حقها . ولا يظن السوء في انيسة الَّا من يشكّ في الفضيلة عينها

ولم تخلُ مع ذلك من مقاساة الاهانات . وما يصعب تصديقهُ ان الذين خلَّصتهم من الموت ونشلتهم من وهدة الفقر هم نفسهم الحقوا بها الاذى . فتلك حالة العالم . ومصائب هذه الابنة الكريمة اغلقت دونها ابواب القلوب عوض ان تستميل اليها الجميع (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

الآثار الفكرية

لعبدالله فكري باشا ناظر المعارف المصرية سابقًا

هو عنوان كتاب يشتمل على ما تيسَّر العثور عليهِ من نظم ونثر لعبد الله فكري باشا ناظر المعارف بمصر سابقًا . وقد جمع هذه الآثار حضرة نجلهِ سعادتلو امين فكري